

أضواء البيان

. @ 10 @ .

وفي موطأ مالك : لما رجع صلى الله عليه وسلم من سفر طلع عليهم أحد فقال (هذا جبل يحبنا ونحبه) . .

فهذا جبل من كبار جبال المدينة يرتجف لصعود النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان ، فيخاطبه صلى الله عليه وسلم خطاب العاقل المدرك : (أثبت أحد فإن عليك نبياً وصديقاً وشهيدين) ، فيعرف النبي ويعرف الصديق والشهيد فيثبت ، فبأي قانون كان ارتجافه ؟ وبأي معقول كان خطابه ؟ وبأي معنى كان ثبوته ؟ ثم ها هو يثبت له صلى الله عليه وسلم المحبة المتبادلة بقوله : يحبنا ونحبه . .

وإذا ناقشنا أقوال القائلين بتخصيص هذا العموم من إثبات التسبيح للجمادات ونحوها ، لما وجدنا لهم وجهة نظر إلا أن الحس لم يشهد شيئاً من ذلك ، وقد أوردنا الأمثلة على إثبات ذلك لسائر الأجناس ، وتقدم تنبيه الشيخ على تأكيد ذلك بقوله تعالى : { وَكَذَّبَ الْعَالَمِينَ } ردّاً على استبعاده . .

ومن الأدلة القرآنية في هذا المقام ، ما جاء في سياق قوله تعالى : { وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا لَآتٍ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ } ، جاء بعدها قوله تعالى : { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْمِعْ لَهُمْ يَكُونُوا يَسْمَعُونَ } ، وهذا نص يكذب المستدلين بالحس . لأن الله تعالى أخبر بأنه جعل بين الرسول صلى الله عليه وسلم وفي تلك الحالة ، وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً يحجب عنهم ، وهذا الحجاب مستور عن أعينهم فلا يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه محجوب عنهم ، ولا يرون الحجاب لأنه مستور ، وهذا هو الصحيح في هذه الآية . .

وقد قال فيها بعض البلاغيين . إن مستوراً هنا بمعنى ساتراً ويقال لهم : إن جعل مستوراً بمعنى ساتر تكرر لمعنى حجاب ، لأن قوله تعالى : { جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مًسْتُورًا } هو بمعنى ساتر ، أي يستره عن الذين لا يؤمنون بالآخرة وليس في ذلك زيادة معنى ، ولا كبير معجزة ، ولكن الإعجاز في كون الحجاب مستوراً عن أعينهم ، وفي هذا تحقيق وجود المعنيين ، وهما حبه صلى الله عليه وسلم وسلم عنهم ، وستر الحجاب عن أعينهم ، وهذا أبلغ في حفظه صلى الله عليه وسلم عنهم ، لأنه لو كان الحجاب مرئياً أي ساتراً فقط مع كونه مرئياً لربما اقتحموه عليه ، وأقوى في الإعجاز ، لأنه لو كان الحجاب مرئياً لكان كاحتجاب غيره من سائر الناس . ولكن حقيقة الإعجاز فيه هو

